تخالطها وتطبعها، وتنتهكها الواقعة السياسية الفاضحة ــ ومع ذلك (**هذا هو ما أقوله**) في هذه الدراسة عن الاستشراق . لأنه إذا كان صحيحاً بأن أي انتاج للمعرفة في العلوم الانسانية لا يمكنه أبداً أن يتجاهل أو ينكر تورط مؤلفها كذات انسانية في ظروفه الخاصة ، فلا بد أيضاً من كونه صحيحاً بأنه بالنسبة للأوروبي أو الاميركي الذي يدرس الشرق لا مجال هناك لانكار الظروف الرئيسية العائدة لواقعه الفعلي : وذلك بأنه يتصدى للشرق كأوروبي أو اميركي في الدرجة الأولى ، وبوصفه فرداً في الدرجة الثانية . وان يكون المرء اوروبياً أو أميركياً في وضع من هذا القبيل ليس واقعة خاملة على الاطلاق . فالأمر قد عنى وهو يعني كون الشخص المذكور مدركاً ، مهما كان ادراكه على قدر ضئيل ، انه ينتمي الى دولة لها مصالح محددة في الشرق . والأهم من ذلك ، انه ينتمي الى جزء من الكرة الأرضية له تاريخ محدد من التورط في الشرق يرجع إلى زمن هوميروس تقريباً .

إن صياغة المسألة بهذه الطريقة تبين بأن هذه الحقائق الفعلية السياسية لا تزال غير محددة إلى درجة كبيرة وعامة جداً حتى تثير الاهتمام بالفعل . ومن شأن أي شخص ان يوافق عليها دون ان يوافق بالضرورة على كونها مهمة جداً ، وكمثال على ذلك : فلوبير عندما كتب رواية **سالامبو** ، أو هـ . أ . ر . جب حين كتب « **الاتجاهات الحديثة في الاسلام** » . والمشكلة هي وجود مسافة كبيرة جداً بين الواقعة الكبيرة المسيطرة ، كما وصفتها ، وبين تفاصيل الحياة اليومية التي تتحكم في الانضباط الدقيق للرواية أو لنص البحث العلمي خلال كتابة كل منهما . ومع ذلك فلو أقصينا منذ البداية كل فكرة تقول بأن الحقائق أو الوقائع « الكبرى » مثل السيطرة الامبريالية يمكن تطبيقها بصورة آلية وحتمية إلى مثل تلك المسائل المعقدة كالحضارة (الثقافة) والأفكار ، فاننا سوف نبدأ حينذاك بالاقتراب إلى نوع من الدراسة مثير للاهتمام . وتقول فكرتي بأن الاهتمام الأوروبي والاميركي فيما بعد بالشرق كان سياسياً بحسب بعض الروايات التاريخية الواضحة عنه والتي سردتها في كتابي ، غير أن الثقافة هي التي أوجدت ذلك الاهتمام ، مما جعلها تتفاعل ديناميا مع المسوغات السياسية والاقتصادية والعسكرية الفظة لكي تجعل من الشرق ذلك المكان المتنوع والمعقد على النحو الذي بدا الشرق عليه واضحاً في الحقل الذي أدعوه أنا بالاستشراق .

وبناء على ما تقدم ، فان الاستشراق ليس مجرد مادة سياسية أو حقل سياسي ينعكس سلبياً بواسطة الثقافة والبحث العلمي أو المؤسسات ولا هو مجموعة كبيرة ومنتشرة من النصوص عن الشرق ، ولا هو بالتالي يمثل على أو يعبر عن مؤامرة امبريالية « غربية » شنيعة تهدف إلى عرقلة تقدم العالم « الشرقي » وابقائه قيد التخلف والجمود . إنه بالأحرى **توزيع** للوعي الجغراسي وبثه في النصوص الجمالية ونصوص البحث العلمي ، والنصوص الاقتصادية والسوسيولوجية والتاريخية والفيلولوجية .إنه **توسيع** ليس فقط لتمييز جغرافي أساسي (قوامه ان العالم يتألف من نصفين غير متساويين : الشرق والغرب) ، بل لسلسلة كاملة من «المصالح» التي لا يخلقها عن طريق سبل مثل الاكتشاف العلمي واعادة البناء الفيلولوجي والتحليل السيكولوجي ووصف المناظر الطبيعية بالاضافة إلى الوصف السوسيولوجي فحسب . بل يحافظ على تلك المصالح ايضاً . إنه يؤلف إرادة معينة، بدلا من التعبير عنها ، أو قصداً معيناً لفهم عالم مختلف في مظهره (أو عالم بديل وجديد) وللسيطرة على هذا العالم في